صندوق البريد

(حصرم الوالد يضرس الولد)

بقلم حبيب الزحلاوي

تمهلت كثيرا وترددت طويلا ، هل ارد على الرسالة التي ارسلها لكم الاستاذ شفيق معلوف ونشرت بعدد سابق في صحيفتكم يطلب مني الاعتذار عما نسبته الى والده المعلم عيسى اسكندر المعلوف وقد كان رابع اربعة سخروا ضمائرهم واجروا اقلامهم للغاصب المستعمر ، وعن مقال نشر بمجلة الهلال بعنوان « اللغة العربية واللغة العامية » بامضاء اسكندر المعلوف وقد نسبت ذلك المقال الى عيسى اسكندر المعلوف .

قلت تمهلت كثيرا وترددت طويلا ، لان الرسالة التي نشرتموها ـ وقد نشرت في صحف اخرى ، هي خاصة بي وقد استباح الاستاذ معلوف نشرها وسكت عن ردي عليها !!

لم يبق اذن ما يدعوني الى التمهل والتردد ، ولا الى تقدير شاعر مرهف الحس تضرس بحصرم لم يأكله ، بل اصبح من الواجب على تصوير الحقيقة ، لا مبرقعة كما اوردتها في كتابي « شيوخ الادب الحديث » بل سافرة مجلوة تجتذب كتاب تاريخ الادب الحديث وتسترعي انتباه الجيل المعاصر .

الفصحى والعامية :

في مقال مجلة الهلال الموقع باسم اسكندر المعلوف محاولة جريئة توهم الجمهور المصري بان من اهم اسباب تأخره تمسكه باللغة العربية الفصحى ، وعجب من تمسك المصريين بها مع ان الفرس والهنود والاتراك مسلمون ، وهم لا يستخدمون العربية . واحتج بان الحكومة المصرية قد تركتها في مدارسها واحلت محلها اللغة الانجليزية ، وقد اثنى عليها لاقدامها على هذه الخطوة ، ورأى ان الخطوة الثانية التي يجب ان يخطوها المصريون هي ان تدع الصحف والمجلات هذه اللغة (الفصحى) وتكتب باللغة العامية ... الى آخره .....

اقف هنا لاقول عندما عين المعلم عيسى اسكندر المعلوف في مجمع اللغة العربية بالقاهرة وذلك عام ١٩٣٢ تكونت زمرة من الكتاب حملت حملة منكرة عليه ورمته بالعامية الفكرية والثقافية المحدودة ، ولم يصدها عن الاسترسال في حملتها تلك سوى المرسوم الملكي الذي صدر بالتعيين ، واسكات المرحوم حلمي باشا عيسى وزير المعارف آنذاك اولئك الكتاب الطامحين الحاقدين .

عز على المعلم عيسى عضو المجمع العلمي بدمشق وعضو مجمع اللغة بالقاهرة ، عز عليه ان يقابل هذه المقابلة الجافة وابت كرامته الا ان يكيل الصاع صاعين ، وان يرد التحية باشد منها . وقد شمر ـ غفر الله له ـ عن ساعد الجد ، فاستل قلمه السيال وراح ينشر المقالات في صحف القاهرة وسواها يشيد بمؤلفاته ـ ويباهي بمقالاته التي نشرت في صحف لبنان وسوريا والعراق وصحف الاميركتين الشمالية والجنوبية ، وقد حرص ، وهو المؤرخ ، على ذكر عنوان وتاريخ كل مقال كتبه واسم كل صحيفة نشرته .

وقد لقيت عرضا بين تلك العناوين العديدة مقالا عنوانه :

« اللغة الفصحى واللغة العامية »

هرعت من فوري الى دار الكتب اطالع المقال وهو مذيل باسم اسكندر المعلوف .

وعدت الى المعلم عيسى احمل اليه مجلة الهلال ، وقد اكتفى رحمه الله بان رد المجلة وقد قال لي ان لهذا المقال قصة اضطررت حيال مساجلة قامت بيني وبين المرحوم جرجي زيدان الى الرضوخ لحكمه وان اقبل برغم عني بنشر المقال باسم اسكندر المعلوف الذي لا وجود له ، وبذلك نتحاشى نظرات المصريين الحادة والسنتهم التي تلوك اسم الشامي وتمجه كان كل شامي مقطمي او من اسرة المقطم ، وقال : اما الان فليس لي الا ان اقول ان روح العصر في مستهل هذا القرن كان يقضي بنشر الدعوة الى اللهجة العامية الدارجة ، وقد رغب الي ان اسكت عن هذه القصة حتى لا يفطن اليها حاقد او غيور .

حط بالخرج :

لزم المرحوم المعلم عيسى المجمع اللغوي حتى عام ١٩٣٧ ثم عاد الى لبنان ، ثم ادركته منيته ولم اذكر قط حكاية مقال الهلال التعس .

عثر صديقي الاستاذ عمر الدسوقي المؤرخ للادب الحديث على ذلك المقال المنشور بمجلة الهلال عام ١٩٠٢ فنقله بنصه واثبته في الجزء الاول من كتابه « في الادب الحديث » وذلك في سياق كلامه عن سعي المستعمرين الى خنق القومية العربية بقتل اللغة العربية الفصحى واستبدالها بالعامية .

وعندما جاء دوري في نقد شيوخ الادب ، كان لا محيد لي عن ذكر الابطال الذين سخروا ضمائرهم واجروا اقلامهم لخدمة الاجنبي المحتل ، فذكرت كما هو وارد في كتابي « شيوخ الادب الحديث » اسم سلامة موسى وناصيف المنقبادي من مصر ، والمعلم عيسى اسكندر المعلوف من لبنان ، وعارف الهبل صاحب جريدة « حط بالخرج » الدمشقية التي كان يحررها المعلم عيسى اسكندر المعلوف باللهجة العامية .

ذكرت هذا في الكتاب الخاص الذي ارسلته للاستاذ شفيق المعلوف وقد كان الواجب عليه نشره كما سمح لنفسه بنشر الكتاب الخاص الذي ارسله لي .

برغم هذا ، وبرغم ما طلب مني الاستاذ شفيق الاعتذار عما سجلته في كتابي عن والده الذي امسى بوفاته ملكا للتاريخ ، فاني اهمس في اذن الشاعر الحساس واعده باني لن اقول اشياء اخرى مما اعرفه عن والده العالم العلامة ، ولا كيف كانت نظرته الى الشعب المصري وعلماء مصر ،

واعزي الشاعر الرقيق باية من قول السيد المسيح :

« الابناء ياكلون الحصرم والاولاد يضرسون »

القاهرة — حبيب الزحلاوي

حول قصيدة « الظل »

اشكر للاستاذ هاني صعب تعليقه على قصيدتي « الظل » ، في « قرأت العدد الماضي من الاداب » ، ولكن لي تعليق صغير على ما اخذه على القصيدة من الخلط بين الاوزان .

فانا أقر بان المقطع الاول جاء من بحر الخفيف بينما المقاطع الاخرى من بحر الكامل . ولكن ذلك لم كن سهوا مني بل جاء متعمدا . فتغير النغم هنا مرتبط بتغير الحالة النفسية التي يعبر عنها الشعر . فالمقطع الاول يعبر عن الحالة التي انتهت اليها الشاعرة من التهافت والاحساس بالضعف ، والحاجة الى الحنان والسكينة والامن في رحاب الله والتي ادت بها الى الابتهال اليه ومناجاته .

بينما المقطع الثاني يحكي عن حالة نفسية سابقة ، فيها قوة او ادعاء القوة:

ابان ثورتنا شمخنا في غرور وادعينا
انا سنبقى وحدنا
نمتص قوتنا من الاعماق من اعماقنا الخ ..

فهذا هو السبب الاصلي في تغير النغم ، اما ملاحظة الاستاذ هاني على السطر الاول من المقطع الاول فانا اوافقه عليه وله الشكر .

القاهرة — ملك عبد العزيز